سقوط اور ونهاية العصر السومري في حضارة بلاد الرافدين

د. محمد كامل روكان
قسم الاثار
كلية الاداب – جامعة القادسية

تعد مدينة اور من اشهر المدن الحضارية في بلاد الرافدين ، وتعرف محليا بـ (تل المقير)، مثل العديد من المواقع الاثارية في بلاد الرافدين ، تقع بقاياها اليوم على بعد ٣٦٥ كم جنوب شرقي مدينة بغداد ، وعلى مسافة ١٥ كم جنوب غرب مدينة الناصرية .[١]

كانت تقع في الأزمنة القديمة بالقرب من نهر الفرات ، حيث كانت تستخدمه منفذا تجاريا لاستيراد وتصدير البضائع ، فضلا عن ارواء الاراضي والبساتين ، وليس لدينا دليل على نشوء هذه المدينة أو الاستيطان فيها قبل دور العبيد (العصر الحجري – المعدني ٤٠٠٠-٣٥٠٠ ق. م.) ، وربما تكون قد نشأت فوق بقايا قرية من هذا الدور.[٢]

مرت مدينة اور منذ نشوئها الأول بادوار الحضارة المتعاقبة ، وكانت مركزا دينيا وحضاريا لبلاد سومر، وقد آلت اليها الملوكية في عهد سلالتها الأولى بحسب ما جاء في قوائم إثبات الملوك السومرية * والتي جاء فيها ذكر اور ثلاث مرات .

اولا: اور وسلالة ميس اني بدا (بحسب الاثباتات):

(دحرت اوروك في الحرب ونقلت ملوكيتها الى اور ، وفي اور حكم : ميس آني بدا ٨٠ عاما ، ميس كياك ننا ابن ميس آني بدا ٣٦ عاما ، ايلولو ٢٥ عاما، بالولو ٣٦ عاما ، اربعة ملوك حكموا ١٧٧ سنة .

ثم دحرت اور ونقلت ملوكيتها الى اوان) .

ثانيا : اور وسلالة ملوكها الثانية (بحسب الاثباتات) :

(ثم دحرت اوروك ونقلت ملوكيتها الى اور ..... ثلاثة ملوك حكموا ١١٦ عاما – (اسماء هؤلاء الملوك مخرومة)، ثم دحرت اور ونقلت الى ملوكيتها ادب).

ثالثا: : اور وسلالة اورنمو :

---

[١] الصيواني ، شاه محمد علي ، اور بين الماضي والحاضر ، بغداد ، ١٩٧٦، ص١٢.

[٢] لويد ، سيتون ، اثار بلاد الرافدين ، ترجمة : الدكتور سامي سعيد الاحمد ، بغداد ١٩٨٠، ص ١١٤.

* قوائم مطولة ومفصلة ذكرت الملوك الذين حكموا البلاد في عهد ما قبل الطوفان ثم السلالات التي حكمت من بعد الطوفان الى الزمن الذي جمعت فيه هذه الاثباتات ، ويرجح ان زمن كتابتها يعود الى عهد سلالة اور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م.) ، وتعد هذه الاثباتات من أهم الوثائق التي ذكرت السلالات الملكية والمدن الحاكمة في بلاد الرافدين. ينظر : طه باقر ، المقدمة ، ص ١٤٧.

(دحرت اوروك ونقلت ملوكيتها الى اور ، وفي اور حكم : اورنمو حكم ١٨ سنة، شولجي حكم ٤٨ سنة، امار سين حكم ٩ سنوات ، شوسين حكم ٩ سنوات، ابي سين حكم ٢٤ سنة ، المجموع خمسة ملوك حكموا ١٠٨ سنوات). [٣]

وقد تمتعت اور ايام حكم سلالة اورنمو بالاستقرار والرخاء الاقتصادي ، وصارت عاصمة لامبراطورية عظيمة ، عمل ملوكها على اعادة الوحدة السياسية الى البلاد من بعد فترة حكم الكوتيين المظلمة ، ووسعوا نفوذهم بفتوحاتهم الخارجية ، فاستعادوا رقعة الإمبراطورية الأكدية السابقة بكامل امتدادها واتساعها التي شملت أجزاء واسعة من الاقاليم من بينها بلاد اشور وبلاد عيلام وسوريا ووادي الخابور والباليخ والأجزاء الشرقية من آسيا الصغرى ومناطق الخليج ، كما عملوا على إحياء كل فروع الفن والأدب السومري ، لذلك سمي عهدهم بـ (عصر الإحياء السومري) .

الا ان الاخطار بدات تحف بهذه الدولة منذ اواخر عهد الملك شولكي ، حيث كانت مشكلة القبائل الامورية مستعصية على الدولة ، اذ كانوا يدخلون الى البلاد بشكل مستمر ومتكرر، يسرقون القطعان ويخربون حقول الحبوب ، مما اضطر الملك شولكي الى تشيد سور بطول ٦٣ كم لمواجهة هذه التدخلات ، اكمله من بعده شوسين ليبلغ طوله ٢٨٠كم ، الا ان هذا السد الغربي لم يحول دون استمرار الاموريين بالاندفاع نحو البلاد .[٤]

وفي خضم هذه الظروف الصعبة والمخاطر التي بدات تحيق بالبلاد تولى الحكم ابي سين وهو صغير السن؛ من بعد موت ابيه الملك شوسين ، وقد توج ابي سين في ثلاث مدن مهمة في الامبراطورية عند توليه العرش، في اور عاصمة ملكه ونفر المدينة المقدسة والوركاء ، وربما اراد بذلك الاشارة الى الوحدة السياسية للدولة في شخصه ، او ربما اراد دفع الشؤم الظاهر ، أي الضعف في كيان دولته ، ولكن الوثائق الكتابية تشير الى ان السلطة كانت موحدة وقت اعتلائه العرش .[٦]

بدأ ابي سين ايام ملكه الاولى بالبناء والتشييد كأسلافه ، فقد بنى سورا لمدينة اور ونفر ، ويبدو ان هذا الاجراء كان احترازيا [٧]، ثم قام ببعض الحملات العسكرية على الاقاليم الشمالية الشرقية[٨]، حيث ورد في نصوص مسمارية ان الملك ابي سين قام بحملة عسكرية على سيموروم في السنة الثالثة من حكمه **(السنة التي**

---

٣ . باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، " الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين " ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ٢٩٠-٢٩٧.

٤ . هلموت ،اوليش ، السومريون شعب في مطلع التاريخ ، مشروع ترجمة مقدم الى كلية اللغات للطالب ماهر حبيب ، بغداد ، ٢٠٠٤ ، ص ٩٩.

٥ .ساكز،هاري ، عظمة بابل ، ترجمة : عامر سليمان ، ص ٧٥.

٦ .هلموت ،اوليش ، المصدر السابق ، ص ٩٨.

7. Jacobsen, Th. The reign of Ibbi-sin, Journal of Cuneiform studies, 1953, №7, P.41.

٨ باقر ، المقدمة ، المصدر السابق ، ص ٣٩٣.

دمر فيها ابي سين ملك اور سيموروم وهي السنة الثالثة من حكمه)، وفي السنة التاسعة جهز حملة على بلاد انشان (**السنة التي ذهب فيها ابي سين مع القوة الكبيرة لخخنوري للهجوم على مدينة انشان)** ، وفي السنة الرابعة عشر حقق انتصارات على سوسة وادامدون واوان واسر حكامهم (**في السنة التي سحق فيها ابي سين ملك اور سوسة وادامدون واوان مثل العاصفة وقهرهم كلهم في يوم فذ واسر حكامهم وسكانهم)**[9] وبالرغم من هذه الحملات العسكرية التي قام بها ابي سين الا ان دولته كانت تعاني الضعف والانهيار ، وبدأت امارات انهيار السلطة منذ السنين الاولى لحكمه، كما يبدو من سير الاحداث التاريخية ان ولاء الحكام للملك لم يستمر طويلا ، حيث بدأت المدن والاقاليم التابعة لسلطته ومنذ السنة الثانية لتوليه العرش تعلن انفصالها واستقلاليتها تباعا ، فبدأ حكام المدن والاقاليم يستعملون الحوادث الرسمية الخاصة بهم وبمدنهم وامتنعوا عن استعمال الحوادث الرسمية المؤرخ بها في العاصمة ، وهذا يعني في العرف السياسي أن تلك المدن نبذت اعترافها بالسلطة المركزية[10] ، فكانت مدينة اشنونا اولى المدن التي اعلنت استقلالها وانفصالها عن السلطة المركزية في زمن حاكمها اتوريا وذلك في السنة الثانية من حكم ابي سين، ثم تبعتها سوسه عاصمة بلاد عيلام في السنة الثالثة، كما نصب نبلانوم احد شيوخ الاموريين ملكا على لارسا عام ٢٠٢٥ ق.م [11]، تبعتها مدينة لكش في السنة الخامسة ومدينة اوما في السنة السادسة ، ثم مدينة نفر – المدينة المقدسة ومصدر الاعتراف بالسلطة الملكية - في السنة السابعة من حكمه [12]، كما توقف حكام هذه المدن عن ارسال النذور والقرابين الى معبد الاله القمر ننار منذ السنة السادسة ، وتشير النصوص المسمارية التي دونت في العصور التالية الى تمرد السكان على طاعة السلطة المركزية ، وظهور العصيان والثورات . [13]

لقد ورث ابي سين دولة تكالب عليها الأعداء وحاقت بها المخاطر فضلا عما تعانيه من انهيارات داخلية ، فمن الشرق خطر العيلامين الذين كانوا يتربصون الفرصة للانقضاض على اور، ومن الشمال الغربي كان خطر القبائل الامورية التي عاثت في البلاد فسادا ، كما كان شبح المجاعة يهدد بانهيار اقتصاد الدولة ، الى جانب انفصال مدن كثيرة عن الامبراطورية ، وخيانة بعض الحكام ، وبرغم كل هذه المصاعب استطاع الملك ابي سين ان يحتفظ بالسلطة مدة ٢٤ عاما (٢٠٢٨ – ٢٠٠٤).

وكان للعامل الاقتصادي دورا مهما فيما آلت اليه اوضاع دولة اور، وكان الوضع السياسي يزداد سوءا وخاصة بعد اجتياح القبائل الامورية للبلاد واستيلائها على الحقول والاراضي الزراعية ، وقطعهم طرق

---

[9] . ظاهر ، عشتار سمير ، دراسة نصوص مسمارية غير منشورة من عصر اور الثالثة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ٢٠٠٧، ص ٢٠.

١٠ . باقر ، المقدمة ، مصدر سابق ، ص٣٩٣.

١١ . المتولي ، نوالة ، دراسات في نصوص مسمارية غير منشورة من سلالة اور الثالثة " حفريات تل مزيد " ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ١٩٨٦ ، ص ٣٥.

١٢ باقر ، المقدمة ، ص ٣٩٣.

١٣ المصدر نفسه،ص ٣٩٤.

المواصلات المؤدية الى العاصمة اور من ناحية وازدياد نسبة الملوحة في اراضي بلاد سومر وارتفاع مستوى الطمى في نهري دجلة والفرات ، وهذا ادى بطبيعة الحال الى شحة ونقص المواد الغذائية وخاصة الحبوب التي تسببت في ارتفاع الأسعار ارتفاعا فاحشا [١٤] ، حيث تشير النصوص المسمارية الى ان شحة القمح وارتفاع اسعاره ارتفاعا كبيرا سبب مجاعة كبيرة في العاصمة اور .[١٥]

وفي السنة الخامسة من حكم ابي سين بأت القبائل الامورية بالندفاع الى البلاد من جديد ، واخترقوا الاسوار ونزلوا على مدن السهل الرسوبي ينهبونها ويدمرونها ، فانتهزت معظم المدن الفرصة واعلنت انفصالها عن السلطة المركزية الضعيفة التي ظهر عجزها في صد تقدم ذه القبائل .[١٦]

وبعد تفاقم الاحداث قرر الملك ابي سين ارسال قوات الى الحدود الغربية بقيادة اشبي ايرا احد قواده الكفوئين لطرد الاموريين من البلاد ، وخوله صلاحيات واسعة ، ولكن اشبي ايرا استغل وهن السلطة وضعف الملك ، فسعى الى كسب ود الامراء وحكام المدن وقادة الجيش لتعزيز مكانته وسلطته ، مبيتا نية التمرد على ابي سين والتفرد بالسلطة ، حيث عرض نواياه وما يدبر على بعض القادة والحكام واعدا إياهم بالشراكة ،

وكان الملك ابي سين قد امر اشبي ايرا ايضا بشراء كميات كبيرة من القمح للحد من مشكلة المجاعة التي عصفت بالبلاد وتسببت في تمرد الناس عليه ، ولم يكن الملك يعلم حينها بمؤامرة اشبي ايرا ، حيث كشفت رسالة بعثها اشبي ايرا الى ابي سين عن بعض مكره وغدره ، وكانت هذه الرسالة تتضمن ابلاغ الملك بشراءه القمح ، وهذا نص الرسالة : [**الى ابي سين مليكي ، هذا ما يقوله خادمك اشبي ايرا : لقد وليتني مسؤولية حملة الى ايسن وكزالو لشراء القمح ، لقد وصل سعر القمح لكل كور واحد شيقل ، ..... (وحتى هذا التاريخ) انفقت (تالنت) من الفضة لشراء القمح ، ولكن الان بعد ان سمعت الخبر بان الـ (المارتو) المعادين قد دخلوا بلادك ، جلبت الى ايسن ٧٢٠٠٠ كور من القمح ، جلبتها كلها ،والآن دخل الـ (مارتو) كلهم الى وسط البلاد واستولوا على الحصون العظيمة الواحد بعد الآخر ، وبسبب المارتو انني غير قادر على نقل ... القمح ، انهم اقوى بكثير مما اقدر عليه وانني مشلول الحركة ، ليكن لدى مليكي ٦٠٠ سفينة مجلفطة (سعة) كل منها ١٢٠ كور ، دعه ...سفينة (من ..) ٧٢ .... ، ودعه .....٥٠ .....وباب او .....سفينة، ودعه (يجمع) ... كل هذه السفن ، ثم دعها تجلب الى ....الضيق ... عن (طريق) النهر، (نهر الجبل)، والقنوات المحفورة، وانني سوف ..... امامه . واجعلني مسؤولا عن المواقع التي سترسو السفن فيها ، او .... كل القمح سيخزن في حالة جيدة ، واذا احتجت الى القمح ، فانني سأجلب القمح لك ، ياملیكي ، ان العيلاميين قد ضعفوا في المعركة، قمحهم ..... قد**

---

[١٤] . Дьяконов, И.М , История древнего мира , “ Города государства Шумер ”, Главная редакция восточной литературы издательства (наука) ,1983.C.311.

[١٥] . Gomi, T. , “ On Critical Economic Situation at Ur Early in the Region of Ibbi Su-en , JCS , № 36 , 1984. P.211.

[١٦] . .باقر ، المقدمة ، مصدر سابق ، ص ٣٩٤ ،٣٩٥.

انتهى فلا تضعف ، ولا توافق على ان تكون عبدا لهم ولا تمش وراءهم ، ان لدي من القمح (ما يكفي) مدة ١٥ عاما (ليسد) جوع قصرك ومدنه ، ياملیكي ضعني مسؤولا عن الإشراف على (ايسن) و(نفر)] . [١٧]

وفي ضوء هذه الرسالة فقد خزن اشبي ايرا القمح بالمدينة التي طلب من ابي سين ان يجعله حاكما عليها ، ثم طلب منه ان يضم له مدينة نفر ، وقد اراد بهذا السيطرة على مركز الاعتراف بالسلطة ، حيث لا شرعية لاي ملك الا بعد مباركة كهنة معبد الاله انليل في نفر .

وقد اضطر ابي سين للموافقة على مطالب اشبي ايرا واقره حاكما على ايسن ونفر ، ليضمن ولائه اولا ولايصال القمح الى اور ثانيا ، وهو بعد لم يكشف خيانة اشبي ايرا ، الذي اغتنم فرصة ضعف وانزواء ملكه في اور، وبعد ان ضمن اشبي ايرا عوامل القوة كالعامل الاقتصادي المتمثل بالقمح الذي يكفي لمدة خمسة عشرة سنة ، والعامل الديني المتمثل بالمدينة المقدسة التي خضعت لسلطانه ، والعامل العسكري المتمثل بقادة الجيش الذين استطاع كسبهم لجانبه اعلن نفسه ملكا واتخذ من ايسن عاصمة لملكه ، ولم يكتف بذلك بل انه سعى جاهدا لاغتصاب عرش سيده ابي سين ، وهذا ماكشفته لنا رسالة (بوزور – نوموشدا) حاكم مدينة (كزالو) الى ملكه ابي سين ، التي يقول فيها :

[**الى ابي سين مليكي ، هذا ما يقوله خادمك بوزور- نوموشدا ان رسول اشبي ايرا وضع عينه علي (قائلا) ان مليكي اشبي ايرا ارسل اليك هذه الرسالة :**

ان انليل مليكي اعطاني بامره رعاية البلاد وامرني انليل بان اجلب الى حضرة الآلهة (نينسينا) المدن ، والآلهة ، ومعسكرات ضفاف نهري دجلة والفرات ، وضفاف قناة (نونسي)وضفاف قناة (مي – انليل)، من بلاد حمازي الى بحر ماجان ، واقامة ايسن كمقر لحكم انليل ولجعلها تسمى باسم عظيم ، ولجعل ...، ولجعل مدنها (مدن بلاد سومر) مستوطنة بالناس ، فلماذا انت الآن تقاومني ؟ انني اقسم باسم (داجان) الهي ، بانه ليس لي الا النوايا السليمة نحو (كزالو) ، اما بالنسبة للمدن والبلاد التي امرني انليل بتولي شؤونها ، ففي وسط ايسن سأبني .... بها ، ساجعلها تحتفل باعيادها ، وساقيم في (جيبار) ها تمثالي ، وشعاري ، وكاهني العظيم ، وكاهنتي العظيمة ، وفي حضرة انليل في معبد (ايكور) وفي حضرة (نانا) في (ايكيشنوجال) ابناء ..... سيرتلون ادعيتهم ، فلماذا انت ... الذي تثق به من بلاده ؟ سأشيد سور ايسن وسأسميه (اديليا شونو) .

لقد وقع ما قاله تماما: فقد شيد جدار ايسن وسماه (اديلياشونو) ، واستولى على نفر ، ووضع الحراس عليها ، واعلن (؟)عن جميع الأوامر (؟) لقد استولى على نفر ، لقد اسر (زينوم) أمير (سوبير) ، ونهب (حمازي)، واعاد (ناراحي) أمير (اشنونا) و (شو انليل) امير (كيش) و(بوزور – توتو) امير (بادزي – ابا) الى أماكنهم ، ووقف اشبي ايرا على رأس قواته واستولى على ضفاف دجلة والفرات ، وعلى قناتي

[١٧] . كريمر ، صموئيل ، السومريون ، ترجمة : فيصل الوائلي ، الكويت ١٩٧٣، ص٤٨١.

(نونمي) و(مي – انليل) ، ودخل الى (ايديل – مالجي) ... [وعندما] قاوم (جيربوبو) امير (جيركال) قطع اشبي ايرا ..... وقبض عليه ، ان الرعب منه يسيطر علي بشدة ، لقد ركز عينيه علي ليعرف مليكي بانه لا حليف لي ، ولا يسير احد بجانبي ، وانه منذ ان ادركني ..... اسير وحيدا] . [١٨]

لقد انقسمت امبراطورية اور بسبب مؤامرة اشبي ايرا الى قسمين ، بقي ابي سين يحكم العاصمة اور والمدن القريب منها لمدة ثلاث عشرة سنة او تزيد قليلا ، بينما استطاع اشبي ايرا ان يفرض سلطته على طول نهري دجلة والفرات من مدينة خمازي في الشمال الشرقي الى الخليج جنوبا ، كما انه اسر الحكام الموالين لابي سين ، واعاد الحكام الذين عزلهم ابي سين لخيانتهم الى مدنهم التي كانوا يحكمون فيها ، وهكذا فقد اصبحت بلاد سومر تحت حكم ملكين ، ابي سين الذي كان حكمه مقتصرا على عاصمته اور ، واشبي ايرا الذي سيطر من عاصمته ايسن على اغلب مدن سومر الأخرى . [١٩]

ان عجز ابي سين المحزن وتردده الذي يرثى له كشف عنهما جوابه الى (بوزور- نوموشدا) ، فعلى الرغم من ادراكه بان بوزور – نوموشدا كان على حافة الخيانة ، الا ان ابي سين لم يستطع ان يفعل شيئا اكثر من مناشدته بالبقاء على ولائه ، مع قوله لبوزور – نوموشدا ان اشبي ايرا ليس من بذرة سومرية وانه سيفشل في تحقيق طموحه في ان يكون سيد بلاد سومر ، وان العيلاميين سيهزمون لان انليل قد اخرج الاموريين من بلادهم وانهم سيوقعون الهزيمة بالعيلاميين ويأسرون اشبي ايرا .

وهذا نص الرسالة الجوابية التي بعثها ابي سين الى بوزور – نوموشدا حاكم مدينة كزالو :

[الى بوزور – نوموشدا حاكم كزالو ، هذا ما يقوله مليكك ابي سين :

منذ ان اخترت لك قوات .... ووضعتها تحت تصرفك كحاكم كزالو ، أليست قواتك ، كما في حالتي ، هي شهرة لك ؟ لماذا ترسل الي بمثل هذا القول : ان اشبي ايرا ركز عينيه علي (وضع علي عيونا) ، سوف لن آتي إلا بعد ان يكون قد تركني ، كيف حصل انك لم تعرف متى سيعود اشبي ايرا الى (هذه) البلاد ؟ لماذا لم ترسل بالاتفاق مع (جيربوبو) حاكم (جيركال) ، القوات التي وضعت بيدك قبل (ان يعود) ؟ كيف حصل انك تؤخر إعادة .... ؟ لقد أرسل انليل الشر على بلاد سومر ، ان عدوها هابط من بلاد .... ورفع الى رعاية البلاد . والآن أعطى انليل الملكية لرجل لا قيمة له ، اى اشبي ايرا الذي هو ليس من بذرة سومرية ، انظر لقد اذلت سومر في مجمع الآلهة ، الاب انليل الذي أوامره ..... امر بكل تأكيد بما يأتي : ((مادام فاعلوا الشر موجودين في اور فان اشبي ايرا، رجل ماري سيهدم أسسها وسيقسم بلاد سومر)) و (هكذا) عندما عينت حاكما للمدن العديدة ، انحازت هذه المدن الى اشبي ايرا وفقا لأمر انليل (حتى بعد ان تسلم انت ، مثل .....المدينة الى العدو وبعد ان تصبح خادما له، فان اشبي ايرا لا يعرف). أما الآن فاجلب الى هنا (العون) من اجل إحياء الكلمة الطيبة ولوضع حد

---

[١٨] . كريمر ، المصدر السابق ، ص ٤٨٢.

[١٩] . . المصدر نفسه ، ص ٩٢-٩٤.

للتضليل : ولينجزوا .... بين سكانها . لا تنصرف ، ولا تكن ضدي ، ان يده لن تنال المدينة ، ولن يمارس رجل ماري السيادة وفقا لخطته العدائية ، لان انليل قد أثار الآن الـ (مارتو) من بلادهم ، انهم سيضربون العيلاميين ويأسرون اشبي ايرا. وباعادة البلاد الى مكانتها (السابقة) ستصبح قوتها معروفة في كافة انحاء الاقطار ، ان هذا امر ملح ، فلا ....] .[٢٠]

وكان العيلاميون يراقبون الأوضاع وما آلت اليه الدولة من انهيارات وانقسامات ، فاغتنموا الفرصة في السنة الرابعة والعشرين من حكم ابي سين متحالفين مع قبائل السوباريين (السو) من جبال زاجروس شمالي عيلام ، وانقضوا على مدينة اور، ولم يبقوا على شيء فيها ، دمروا اسوارها والمعابد والمباني ، تركوا سكانها جثثا في الشوارع والساحات اكواما مكدسة في العراء، والتهمت نيرانهم المخازن والاسواق ، ،وامتهنوا كل شيء مقدس في المدينة ، وعملت فؤوسهم الضخمة في معابد المدينة المقدسة ، واقتادوا ملكها ابي سين اسيرا معهم الى بلاد عيلام ، وتركوا في المدينة حامية عسكرية،[٢١]تمكن اشبي ايرا بعد قرابة سبع سنين من طردها ، واعلن نفسه سيدا لبلاد سومر واكد .[٢٢]

ان مأساة مدينة اور ودمارها وقتل سكانها وخراب معابدها فاجعة مؤلمة ظلت عالقة في ذاكرة الناس ، فكتب الشعراء انذاك قصائدا ومراثي تصف ما حل باور واهلها ، فكانت مرثية اور* من روائع ماكتب من شعر ينعى المدينة واهلها ، حيث يصف كاتب المرثية مدينة اور بحزن عميق قائلا :

رثاؤك مر اليم ايتها المدينة

مدينة اور التي خُربت رثاؤها مر اليم

كم سيظل رثاؤك الاليم يحزن سيدك الباكي

الرب الذي دمر بيته يشارك مدينته البكاء والندب

ناحت اور وشاركت الرثاء سيدها التي خُربت بلاده

وشاركته ننجال البكاء والنوح من اجل مدينتة[٢]

وفي مقطع اخر يصف الشاعر ماحل بالمدينة وكانه مر بها من بعد خرابها ، قائلا :

غادر عهد الحاكم الصالح

اصبحت البلاد خرابا

---

[٢٠] . .كريمر ، المصدر السابق ، ص ٤٨٣.

٢١ . بوتيرو ، الشرق الادنى ، ترجمة : عامر سليمان ، الموصل ١٩٨٦، ص ١٥٩.

٢٢. Kramer,S.N.,the Sumerians , Chicago,1963,P.72 .

* يرجع زمن نظم هذه المرثية الى العصر البابلي القديم في مطلع الالف الثاني ق.م. ،ويرقى زمن اقدم نسخ لنصوصها التي وصلت الينا الى عهد سمسو-ايلونا (١٧٤٩ – ١٧١٢ ق.م) ، وهو الملك السابع من سلالة بابل الاولى ، وقد جمع نصها الكامل من نحو ٢٢ لوحا وكسرمن الواح ، وتتضمن المرثية زهاء ٤٣٦ بيتا ، وانتظمت في احدى عشر مقطعا غير متساوية في عدد ابياتها. ينظر : طه باقر ، مقدمة في ادب العراق القديم ، ص ٢١٣.

٢٣ . باقر ، طه ، مقدمة في ادب العراق القديم ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ٢١٤.

الحظائر مقفرة ، ماهي الا اشلاء

اين البقر السمين خلف الاسوار

اين الشياه التي انجبت حملانا

ماء السواقي صار عسيرا

وعشب محروق يغطي الحقول

لا تنبت البرية سوى عشب الالم

لم تعد الام ترعى صغارها

والزوج لا يدعو زوجته بلطف

ووصف حال الناس ومليكهم قائلا :

سيق الناس من وطنهم

الى بلدان الاعداء مأخوذين

السوباريون يحقرونهم عند الاصيل

وعيلام في الشرق تشبعهم اهانة

واسفاه ان ملك سومر غادر القصر

وذهب ابي سين الى بلاد عيلام

الى المناطق البعيدة حيث حدود انشان

كانه طير هجر عشه

كغريب لن يرى وطنه ابدا [٢٤]

ووصف الشاعر ننار اله المدينة وكانه يعاتب مجمع الالهة قائلا :

جرجرت ساقيَّ، فتحت ذراعيَّ،

بحرقة ذرفت الدموع أمام آنو،

وبصدق نُحتُ أمام إنليل.

قلت لهما: عسى أور لا تُدمر،

عسى مدينتي أور لا تُدمر قلت لهما،

وعسى شعبها لا يُسلم إلى الذبح، قلت لهما.

ولكن آنو لم يثلج صدري بكلمة،

بل أصدر الأوامر بهلاك أور،

[٢٤] . هلموت ،اوليش ، السومريون شعب في مطلع التاريخ ، المصدر السابق ، ص ١٠٢-١٠٤.

ووصف الالهة ننجال وكانها تعزي ننار اله المدينة قائلة :

اي نانار، لقد آلت المدينة إلى خراب، والناس ينوحون.

وجثث أهلها، مثل كسرات الفخار، ملأت جنباتها.

الجدران المتينة قد تهاوت، والناس ينوحون.

وعند البوابات العالية وفي الطرقات، تكدست الجثث،

وفي جاداتها العريضة التي شهدت الاحتفالات، اختلط الموتى،

وذابت الأجساد من تلقاء نفسها مثل زبدة تحت الشمس.

رجالها الذين لقوا حتفهم بالفأس مطروحون بلا غطاء رأس،

ورجالها الذين صُرعوا بالحراب مطروحون بلا أكفان،

في المكان الذي ولدتهم فيه أمهاتهم مضرجون بدمائهم.

في أور هلك القوي والضعيف من الجوع.

الآباء والأمهات الذين لزموا بيوتهم التهمتهم الحرائق،

والصغار الذين لزموا أحضان أمهاتهم جرفهم الطوفان مثل السمك.

تركت الأمهات بناتهن، والناس ينوحون.

ترك الآباء أبناءهم، والناس ينوحون.

وآلهة المدينة، مثل طائر محلق، هجرت مدينتها.

ننجال، مثل طائر محلق، هجرت مدينتها.

ثروات أور التي تراكمت في الديار وُضعت عليها أيدي مدنسة،

وفي عنابرها المليئة بالخيرات أُضرمت النار.

العيلاميون والسوبارتيون المخربون عاملوها باحتقار،

بالمعاول هدموا أور، البيت البار، والناس ينوحون.

أحالوا المدينة إلى ركام، والناس ينوحون.

إلهتها صرخت: وا أسفاه على مدينتي، وا أسفاه على بيتي.

ننجال صرخت: وا أسفاه على مدينتي، وا أسفاه على بيتي.

ووصف الالهة ننجال وهي تعزي نفسها بما حل بمدينتها قائلة :

أنا السيدة، مدينتي آلت إلى خراب، وبيتي آل إلى خراب.

أيها الإله نانار، أور آلت إلى خراب وشعبها قد تشتت.

لقد لعن آنو حقاً مدينتي، ومدينتي حقاً آلت إلى خراب.

لقد أعلن إنليل حقاً عداوته لبيتي، وبيتي حقاً أُعمل فيه المعول.

في حقول مدينتي لم يعد ينبت القمح، وفلاحوها هجروها،

والكروم وبساتين النخيل التي كانت تفيض بالخمر والعسل،

صارت تغل الأشواك الجبلية.

أيها الإله نانار، أور لم تعد موجودة، ولم أعد سيدتها.

الويل لي، المدينة آلت إلى خراب، البيت آل إلى خراب.

أي نانار، أور المقام المقدس، آلت إلى خراب، وشعبها هلك.

الويل لي، أين أجلس، الويل لي أين أقف.

أنا ننجال، مثل راع مهمل راحت خرافه نهباً للسلاح.

الويل لي، أنا التي نُفيتْ من المدينة ولا تجد مكان راحة لها.

أنا ننجال التي نُفيتْ من بيتها ولا تجد لها سكناً.

لقد صورت هذه المرثية ما حل بمدينة اور من خراب وتدمير، ولا يمكننا ان نعطي وصفا افصح حالا من هذه الرائعة المؤلمة ، وهكذا اسدل الستار عن العصر السومري في حضارة بلاد الرافدين بعد هذه الفاجعة التي حلت بالمدينة وادت الى سقوطها ونهاية اخر سلالة حكمت فيها سنة ٢٠٠٤ ق.م، بعدها عادت دويلات المدن تحكم من جديد من بعد الوحدة السياسية التي حققتها سلالة اورنمو للبلاد ، فحكمت ايسن عاصمة الملك اشبي ايرا اجزاء واسعة من البلاد وعاصرتها لارسا ومدنا اخرى ، وظلت اور تتارجح في تبعيتها لهاتين السلالتين زمنا طويلا ، وسمي هذا العصر في تاريخ حضارة العراق القديم بـ (عصر ايسن ولارسا) ، ثم تبعته سلالات اخرى لكنها لم تتمكن من فرض سيطرتها على كل البلاد حتى ظهور حمورابي (١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق.م) الذي تمكن من اعادة توحيد البلاد مرة اخرى .

مصادرالبحث

١. الصيواني ، شاه محمد علي ، اور بين الماضي والحاضر ، بغداد ، ١٩٧٦.

٢. لويد ، سيتون ، اثار بلاد الرافدين ، ترجمة : الدكتور سامي سعيد الاحمد ، بغداد ١٩٨٠.

٣. باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، " الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين " ، ج ١ ، بغداد ، ١٩٨٦.

٤. هلموت ،اوليش ، السومريون شعب في مطلع التاريخ ، مشروع ترجمة مقدم الى كلية اللغات للطالب ماهر حبيب ، بغداد ، ٢٠٠٤ .

٥. ساكز،هاري ، عظمة بابل ، ترجمة : عامر سليمان.

6. Jacobsen, Th. The reign of Ibbi-sin, Journal of Cuneiform studies, 1953, №7.

٧.ظاهر ، عشتار سمير ، دراسة نصوص مسمارية غير منشورة من عصر اور الثالثة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ٢٠٠٧.

٨. المتولي ، نوالة ، دراسات في نصوص مسمارية غير منشورة من سلالة اور الثالثة " حفريات تل مزيد " ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ١٩٨٦.

٩. Дьяконов, И.М , История древнего мира , “ Города государства Шумер ”, Главная редакция восточной литературы издательства (наука) ,1983.

١٠. Gomi, T. , “ On Critical Economic Situation at Ur Early in the Region of Ibbi Su-en , JCS , № 36 , 1984.

١١. كريمر ، صموئيل ، السومريون ، ترجمة : فيصل الوائلي ، الكويت ١٩٧٣

١٢. بوتيرو ، الشرق الادنى ، ترجمة : عامر سليمان ، الموصل ١٩٨٦

١٣. Kramer,S.N.,the Sumerians , Chicago,1963.

١٤. باقر ، طه ، مقدمة في ادب العراق القديم ، بغداد ، ١٩٧٦.